

الإهلاك والإنذار  
بالغرق والطوفان  
نظرات في قصص القرآن

د. محمد بن عبدالعزيز العواجي

عضو هيئة التدريس بقسم التفسير كلية القرآن الكريم

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٨٩٠٢٧ — ٥٥٨٩٧٨٠

جوال ٠٥٠٤٥١٢٤٤٧

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر  
العواجي، محمد بن عبدالعزيز  
الإهلاك والإنذار بالغرق والطوفان: نظرات في قصص  
القرآن. / محمد بن عبدالعزيز العواجي.. مكة المكرمة، ١٤٢٨ هـ  
٥٩ ص؛ ١٧/٢٤ سم.

ردمك: X - ٠ - ٩٩٣٤ - ٩٩٦٠

١- قصص القرآن ٢- الطوفان ٣- الثواب والعقاب أ. العنوان  
ديوي ٢٢٩.٥ ١٤٢٨/٣٢٦٦

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٣٢٦٦

ردمك: X - ٠ - ٩٩٣٤ - ٩٩٦٠

بحث محكم ومنشور بمجلة كلية دار العلوم بجامعة الفيوم - مصر  
ملحق العدد الثاني عشر ديسمبر ٢٠٠٤ م

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ

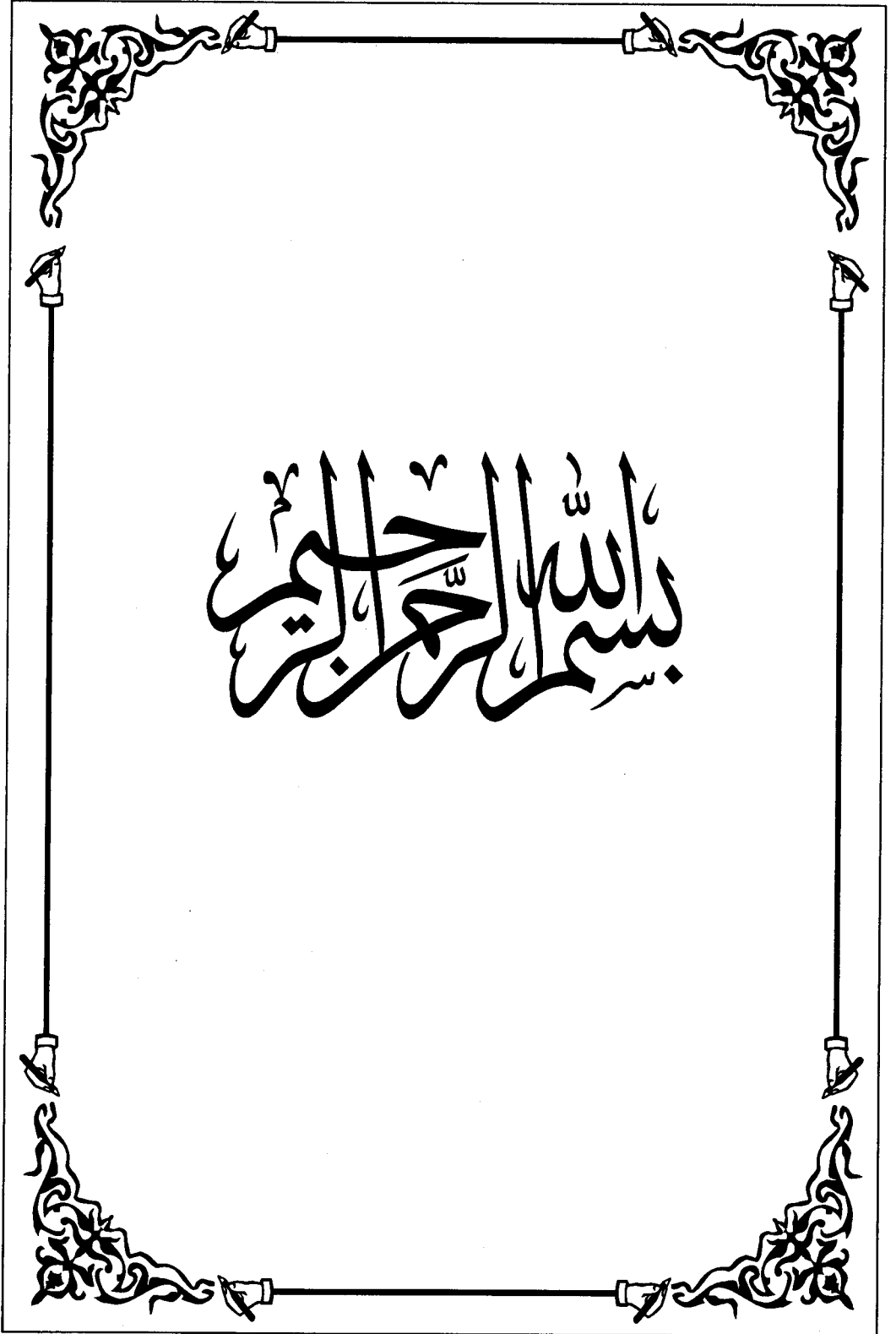
دار طبية الخضراء للنشر والتوزيع

مكة المكرمة - العزيزية - بجوار جامعة أم القرى

جوال ٠٥٠٤٥١٢٤٤٧ هاتف: ٥٥٨٩٠٢٧ فاكس: ٥٥٨٩٧٨٠ تحويلة ١٠٢

المدينة المنورة: هاتف ٤٨٤٦٣٣٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أمر خير خلقه بالنظر والاعتبار في قصص السابقين ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصَدِّيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

والحمد لله ولي الصالحين، وقاصم الجبابرة والظالمين، وناصر المؤمنين والمستضعفين، الحمد لله حمداً يليق بجلاله، وهو ذو القوة المتين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وإمام العلماء وقدوة الدعاة والمجاهدين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الأطهار الأبرار حماة الدين وحملة رسالة رب العالمين إلى الناس أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[الأنبياء: ١٠]، وقال عز من قائل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَّكَ أَوْ عَلَيْكَ)<sup>(١)</sup>. قال النووي: فمعناه ظاهر، أي: تنتفع به إن تلوته وعملت به،

(١) صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب: الضوء (٢٢٣)، والترمذي: كتاب الدعوات باب: (٨٦)

(٣٥١٧)، وابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب: ثواب الطهور (٢٨١).

وإلا فهو حجة عليك<sup>(١)</sup>. وقال السندي: (أو عليك): إن قرأته بلا عمل به<sup>(٢)</sup>.

لقد أنزل الله القرآن ليكون كتاباً لتغيير النفوس بما يؤدي لتغيير الواقع. فما الذي حدث؟! لماذا أصبح القرآن بلا تأثير في حياتنا؟! إن الأسباب التي تقف وراء ذلك كثيرة ومتعددة، ولعل من أهمها: عدم التدبر وفهم معانيه. ومن أسباب ذلك عدم الالتزام بتنفيذ أوامره ونواهيه.

#### سبب اختيار الموضوع:

وإن من جوانب تدبر القرآن الكريم: تتبع السنن التي وقعت على الأمم السابقة، والتي حلت عليها بسبب انحرافها عن الصراط المستقيم والمنهج القويم، وتكمن الفائدة وتحصل العبرة والعظة في البحث والتدبر والتفكر في أسباب هذه العقوبات، والتفكر فيما ذكره الله في كتابه في أسباب دفع هذه العقوبات وعوامل النجاة من غضب رب الأرض والسماوات.

إن هذه العقوبات كثيرة متنوعة قصص الله بعضها في كتابه مجملية ومفصلة، وأمرنا بتدبرها وأخذ العبرة والعظة حتى لا نقع فيما وقعوا فيه فيحل علينا ما حل بهم، وذكر سبحانه رحمةً بنا وفضلاً منه على عباده بعض العوامل التي إذا أخذ بها الأفراد والمجتمعات والأمم رفعت عنهم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: (١٠٣/٢).

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي: (١٠/٥).

العقوبات ودفعت.

قال سبحانه: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال سبحانه: ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ٣٩].

والله سبحانه لما قص لنا حال الأمم الماضية أمرنا بأخذ العبرة والعظة وعدم السير على طريقهم ومنهجهم فقال سبحانه: ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٦٩ - ٧٠].

إن الناس في الأزمنة المتأخرة تعرضوا لعقوبات وآيات كونية ربانية - وهي في ازدياد - ونحن نعيش مرحلة صعبة، لكثرة ما نسمع ونرى من تتابع الآيات والنذر.

ومن تدبر حال الأمة مع هذه الآيات يأخذه الخوف والعجب من صنعها ومواقفها، وإن المخرج من هذه الفتن والمحن بسلام وأمان لن يكون إلا بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ ففيهما النور والهدى، ومن خلال تدبر كتاب الله في معرفة الأسباب الجالبة، والعوامل الدافعة للعقوبات عن الأمم.

ولأن الطوفان والغرق من العقوبات التي تكرر ورودها في القرآن الكريم، أحببت أن أبسط شيئاً من الدراسة على ذلك النوع من العقوبات، وتلك الآية التي يخوف الله بها عباده، محاولاً استعراض أنواعها، وصورها وأسبابها الشرعية، وذلك وفق منهجية موضوعية مختصرة.

### منهجية البحث:

لقد سلكت في تسطير وصياغة هذه الورقات المنهج العلمي التالي:

• سلكت أسلوب المقالة في صياغة البحث "لأنه ذا طابع وعظمي

تذكيري".

• التزمت ما ذكره العلماء المشتهرون في الفن في معنى الآيات الإجمالي

على الوجه الأرجح، معرضاً عن ذكر الخلاف في ذلك بناء على منهجية هذا النوع من التفسير.

• ما صغته في معاني الآيات والاستشهاد بها فهو ممّا فهمته من جرد

كتب التفسير عامة.



• حاولت أن تكون خطوات وخطة البحث موافقة لما اتفق عليه أهل فن "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، وفقاً لما قيده د. زاهر عواض الألمعي في: (دراسات في التفسير الموضوعي) ود. مصطفى مسلم في: (مباحث في التفسير الموضوعي)، واستلهاماً مما سلكه الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي في كتابه: (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) و(فتح الرحيم الملك العلام). وإني لأرجو أن أكون وفقت لذلك.

• تخريج الأحاديث والروايات، والحكم عليها من حيث الصحة والضعف نقلاً عن العلماء في ذلك الفن.

### خطة البحث:

وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

**المقدمة:** وتضمنت سبب اختيار الموضوع ومنهجية البحث، وخطة

البحث.

**وتمهيد:** تضمن معاني الطوفان اللغوية والاصطلاحية، ومعانيه في

القرآن الكريم.

**الفصل الأول: صور الإهلاك بالطوفان في القرآن الكريم:** وفيه خمسة

مباحث.

**المبحث الأول: الإهلاك بطوفان الماء (طوفان قوم نوح).**

المبحث الثاني: الإهلاك بطوفان النار (طوفان أصحاب الجنة).

المبحث الثالث: الإهلاك بطوفان الغرق (غرق قوم فرعون).

المبحث الرابع: الإهلاك بطوفان السيل (سيل قوم سبأ).

المبحث الخامس: الإنذار بالطوفان (طوفان قوم فرعون).

الفصل الثاني: التهديد بالإغراق: وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: صور التهديد بالإغراق عامة.

المبحث الثاني: وصف حال الناس في موج البحر.

المبحث الثالث: وصف موج البحر وظلمته وضرهه مثلاً.

الفصل الثالث: أسباب الطوفان الشرعية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات في البحث.

ثم فهرس المراجع والمصادر.

والله أسأل الإعانة والتوفيق والسداد فلا حول ولا قوة إلا به وهو

حسبي ونعم الوكيل.

## تمهيد

## ذكر معاني الطوفان في القرآن

الطوفان لغة: يقال: طاف حوله، وبه، وعليه، وفيه، طَوْفًا وطَوَافًا، أي:

دار وحام.

ويقال: أطاف بالشيء، أو عليه، أي: ألمّ به وقاربه وأحاط به. ويقال:

الناس والجراد أو غيرهما ملؤوا الأرض كالطوفان.

قال عطاء: الطوفان الموت. وقال مجاهد: الطوفان الموت على كل

حال<sup>(١)</sup>.

وقيل: الطُوفان: هو المطر الغالب الذي يغرق من كثرته<sup>(٢)</sup>، والماء

الغالب ليغشى كل شيء، والموت الذريع الجارف، والقتل الذريع<sup>(٣)</sup>،

والسيل المغرق، وكثرة المطر والريح<sup>(٤)</sup>.

والطوفان من كل شيء: ما كان كثيراً أو عظيماً من الأشياء أو الحوادث

بحيث يطغى على غيره، والفيضان العظيم كالذي أهلك قوم نوح<sup>(٥)</sup>.

والطائف لا يكون إلا ليلاً، ولا يكون نهاراً<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر تفسير الطبري: (١٠/٣٧٩-٣٨٠). تفسير غريب القرآن: (١٧١).

(٢) معاني القرآن للزجاج: (٢/٣٧١).

(٣) تفسير غريب القرآن العظيم للراغب: (٣٣٧).

(٤) النكت والعيون في تفسير الماوردي: (٢/٢٥٢).

(٥) المعجم الوسيط: د/ إبراهيم أنيس ورفاقه (٥٧١). الطبعة الثانية.

(٦) معاني القرآن للفراء: (٣/١٧٥).

والطائف: هي بلاد ثقيف في وادٍ، والطواف: هو الخادم يخدمك برفق وعناية.<sup>(١)</sup>

### الطوفان اصطلاحاً:

ومن المعاني اللغوية السابق يمكن أن نقول أن الطوفان في الاصطلاح هو كما قال الإمام الألويسي: "ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحرثهم من مطر أو سيل"<sup>(٢)</sup>، وهو أيضاً: "اسم لكل شيء حادث يحيط بالجهات ويعم كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الجارف وقد اشتهر في طوفان الماء"<sup>(٣)</sup>.

### معاني الطوفان في القرآن:

يقول الإمام ابن الجوزي: ذكر بعض المفسرين أن الطواف في القرآن على ستة أوجه:

١. **الطواف بالبيت:** ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

٢. **السعي بين الصفا والطهرة:** ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

٣. **الجهلان:** ومنه قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتِنَ﴾ [الرحمن: ٤٤].

(١) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، (ص: ١٠٧٦).

(٢) روح المعاني: (٩ / ٣٣).

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: (٣٢٠).

٤. **الخدمة:** ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ

مَكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤].

٥. **نار محرقة:** ومنه قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهِ طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

[القلم: ١٩].

٦. **الوسوسة:** ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ

طَئِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:

٢٠١]<sup>(١)</sup>.

ويمكننا أن نزيد معنى سابغاً وهو:

٧. **الإهلاك بالماء:** ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ

فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾

[العنكبوت: ١٤]. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

فأخبرنا الله في القرآن الكريم عن الإهلاك بالطوفان عن طريق قصص الذين أهلكهم الله تعالى بالماء، وأخبرنا بالإهلاك به، ووصف البحر والموج، وعرض لبعض الصور في القرآن التي تعرض هلاك أقوام بالطوفان.

(١) نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي: (٤١٥).



## الفصل الأول

### صور الإهلاك والإنذار بالطوفان في القرآن الكريم

- المبحث الأول: الإهلاك بطوفان الماء (طوفان قوم نوح).
- المبحث الثاني: الإهلاك بطوفان النار (طوفان أصحاب الجنة).
- المبحث الثالث: الإهلاك بطوفان الغرق (غرق قوم فرعون).
- المبحث الرابع: الإهلاك بطوفان السيل (سيل قوم سبأ).
- المبحث الخامس: الإنذار بالطوفان (طوفان قوم فرعون).





## المبحث الأول

### الإهلاك بطوفان الماء (طوفان قوم نوح)

قد وصف الله تعالى ما حصل لقوم نوح بأنه طوفان فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]. قال قتادة: ﴿ فَأَخَذَهُمُ

الطُّوفَانُ ﴾ أي: الماء الذي أرسل عليهم، وعن الضحاك قال: الطوفان الغرق<sup>(١)</sup>.

فقد اختار الله نوحاً عليه الصلاة والسلام لحمل الرسالة، فخرج نوح

إلى قومه وبدأ دعوته ﴿ فَقَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ولكنهم كذبوه ورفضوا دعوة

الله بعد أن مكث فيهم نوح عليه السلام يدعوهم بكل الوسائل تسعمائة وخمسين

سنة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا

خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي

لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ

لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ وَأَسْتَفْسَفُوا نِيَابَهُمْ وَاصْرَبُوا وَاسْتَكْبَرُوا

(١) تفسير الطبري: (١٨ / ٣٧١).

أَسْتَكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ [نوح: ٥-٩].

فأصدر الله تعالى حكمه على الكافرين بالإهلاك بالطوفان، وأمر عبده نوحاً عليه الصلاة والسلام أن يصنع السفينة، فقال له: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾ [هود: ٣٧]. فإن الله تعالى يغرق الذين ظلموا مهما كانت أهميتهم أو قرابتهم للنبي ﷺ وينهى الله نبيه أن يخاطبه أو يراجعه أو يشفع فيهم.

فبدأ نوح عليه الصلاة والسلام يبني السفينة، ويمر عليه الكفار فيرونه منهمكا في صنع السفينة، والجفاف سائد، وليست هناك أنهار قريبة أو بحار. كيف ستجري هذه السفينة إذن يا نوح؟ هل ستجري على الأرض؟ أين الماء الذي يمكن أن تسبح فيه سفيتك؟ وترتفع ضحكات الكافرين وتزداد سخريتهم من نوح ﷺ، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

إن قمة الصراع في قصة نوح تتجلى في أن الباطل يسخر من الحق، يضحك عليه طويلاً، متصوراً ومغترراً أن الدنيا ملكه، وأن الأمن نصيبه، وأن العذاب غير واقع، قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا

أخذه لم يفلته) ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].<sup>(١)</sup>

انتهى صنع السفينة، وجلس نوح عليه الصلاة والسلام ينتظر أمر الله، أوحى الله إلى نوح أنه إذا فار التنور فهذا علامة على بدء الطوفان. قيل في تفسير التنور أنه بركان في المنطقة، وقيل أنه الفرن الكائن في بيت نوح عليه السلام، إذا خرج منه الماء وفار كان هذا أمرًا لنوح بالحركة. وجاء اليوم الرهيب، وفار التنور، وأسرع نوح يفتح سفينته ويدعو المؤمنين به ليركبوا معه، وحمل نوح إلى السفينة من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين كما أمره الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

ارتفعت المياه من عيون الأرض. وانهمرت من السماء أمطار غزيرة بكميات لم تر مثلها الأرض، فالتقت أمطار السماء بمياه الأرض، وصارت ترتفع ساعة بعد ساعة، فقدت البحار هدوئها، وانفجرت أمواجها تجور على اليابسة، وتكتسح الأرض، وارتفعت المياه أعلى من الناس، ثم تجاوزت

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ﴾

(٤٦٨٦). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم (٢٥٨٣).

رؤوس الأشجار، وقمم الجبال، وغطت سطح الأرض كله.  
وفي بداية الطوفان نادى نوح عليه السلام ابنه. وكان ابنه يقف بمعزل منه،  
ويحكي لنا المولى عليه السلام الحوار القصير الذي دار بين نوح عليه السلام وابنه قبل أن  
يجول بينهما الموج فجأة.

نادى نوح ابنه قائلاً: ﴿يَبْنِيُّ أَرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢)  
قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ  
إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿ [هود: ٤٢ - ٤٣].

انظر إلى دلالة لفظ القرآن الكريم أنهى الموج حوارهما فجأة، نظر نوح  
فلم يجد ابنه، لم يجد غير جبال الموج التي ترتفع وترفع معها السفينة،  
وتفقدتها رؤية كل شيء غير المياه. وشاء الله أن يغرق الابن بعيداً عن عين  
الأب، رحمة منه تعالى بالأب.

واستمر الطوفان، واستمر يحمل سفينة نوح، وبعد ساعات من بدايته،  
كانت كل نفس مشرقة على الأرض قد هلكت غرقاً. لم يعد باقياً من الحياة  
والأحياء غير هذا الجزء الخشبي من سفينة نوح عليه السلام، وهو ينطوي على  
الخلاصة المؤمنة من أهل الأرض. وأنواع الحيوانات والطيور التي اختيرت  
بأمر الله وعناية.

واستمر طوفان نوح زمناً لا نعرف مقداره، ثم صدر الأمر الإلهي إلى  
السماء أن تكف عن الإمطار، وإلى الأرض أن تستقر وتبتلع الماء، وإلى

أخشاب السفينة أن ترسو على الجودي، وهو اسم مكان قديم يقال أنه جبل في العراق - وطهر الطوفان الأرض وغسلها. قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءَهُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٤٤).

وقد وصف الله هذا الذي حصل لقوم نوح بالغرق قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧]. وقال تعالى لنبية نوح عليها السلام: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطَبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

فالغرق أثر من آثار الطوفان الذي أصابهم.

وقد لا يلزم من الطوفان الغرق كما في طوفان آل فرعون - الذي سيأتي الحديث عنه - أما قوم نوح فقد جمع الله لهم العقوبتين الطوفان والغرق. وقد يكون الغرق أثراً لطوفان غير الطوفان الأول بل طوفان إطباق البحر عليهم، كما في غرق فرعون وقومه كما سيأتي.

(١) انظر: أحداث قصة نوح عليها السلام في كتب التفسير على وجه العموم، وتفسير الطبري على وجه الخصوص، والبداية والنهاية: (٩٣/١).

## المبحث الثاني

### الإهلاك بطوفان النار (طوفان أصحاب الجنة)

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْتُهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَبَصَرِئُهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا

يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعِدُوا عَلَيْنَا حَزَنًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَى حَزْبٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَمَّضُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا بُولَاقَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [القم: ١٧ - ٣٣].

" هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهو بعثة محمد ﷺ، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة، ولهذا قال: ﴿ إِنَّا بَلَوْتُهُمْ ﴾ أي: اختبرناهم. ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه.

فقد أقسم أصحاب تلك الجنة فيما بينهم ليحصدن ثمرها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير، ولا يتصدقون بشيء، - أي: أرادوا منع الزكاة - فكانت النتيجة: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴾ أصابتهم آفة سماوية كالليل الأسود وهم نائمون، قال الزجاج: أرسل الله عليهم عذاباً من السماء

فاحترقت كلها"<sup>(١)</sup>. " فلما استيقظوا نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الحصاد، فذهبوا وهم يتناجون فيما بينهم ألا يعطوا منها مسكيناً بحيث لا يسمع أحد كلامهم، ولكن الله تعالى كان يسمع كلامهم ونجواهم. فلما وصلوا إليها وهي على الحالة التي وصف الله ﷻ، حيث استحالت تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدهمة، لا ينتفع بشيء منها، ومن شدة الصدمة وعدم تصديق أعينهم اعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق، ولكنهم تيقنوا أنها هي ولكن لا حظ لهم فيها ولا نصيب. فقال أحدهم: هلا تسبحون الله على ما أعطاكم وأنعم عليكم ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فأتوا بالطاعة وندموا واعترفوا لكن بعد وقوع العذاب، وأقبلوا يلوم بعضهم بعضاً على ما أصروا عليه من منع حق الفقراء والمساكين.

ثم عقب الله تعالى على هذه القصة بقوله: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، أي: هذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنعم عليه، ومنع حق المساكين والفقراء وذوي الحاجات، وبدل نعمة الله كفرأ، ولن يقف العذاب عند عذاب الدنيا فقط بل هناك عذاب في الآخرة أشد وأشق"<sup>(٢)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعرابه: (٥/٢٠٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٨/١٩٥-١٩٧) مختصراً.

وهذه القصة مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ  
 أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا  
 أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمُ اتَّيَّهَا  
 أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ  
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].



### المبحث الثالث

#### الإهلاك بطوفان الغرق (غرق قوم فرعون)

وهذا الغرق يختلف عن الطوفان الذي جاءهم من قبل، فإن الطوفان جاء بعده أنواع أخرى من العذاب، فكانت بمثابة نذر وآيات تذكير، أما الغرق فقد كان بمثابة نهاية فرعون وقومه.

فلقد تمادي أهل مصر في كفرهم وعتوهم ومتابعتهم للملكهم وزعيمهم فرعون، ومخالفتهم لنبي الله موسى عليه السلام، بعد أن أقام عليهم الحجج والبراهين العظيمة. قال تعالى: ﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣].

عند ذلك دعا عليهم نبي الله موسى بقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

فأمر الله نبيه موسى أن يخرج من مصر هو وبنوا إسرائيل، فعندما علم فرعون بذلك الخروج جهز جيشاً كبيراً وأراد اللحاق بهم، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ

حَسْرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِبُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ  
 حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ  
 وَأَوْزَيْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ  
 أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى  
 مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾  
 وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ  
 ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿الشعراء: ٥٢ - ٦٧﴾.

فالله ﷻ شق البحر لبيبه موسى عليه السلام هو وقومه الذين آمنوا معه، أما  
 الذين كفروا بالله وتجبروا وآذوا الذين آمنوا فلم يكن لهم إلا الغرق  
 والإهلاك والمحو من الوجود، ولكن الله أبقى لنا جسد فرعون ليكون لنا  
 عبرة وعظة، وليكون عبرة وعظة لكل من يتجبر ويتكبر ويكفر بالله ﷻ  
 ويكذب رسله عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ،  
 بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ،  
 بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَكْفُرُ بِمَا كُنتَ مِنْ  
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً وَإِن كَثِيرًا  
 مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿يونس: ٩٠ - ٩٢﴾.

فأهلكه الله ومن طغى معه من قومه بما كان يفتخر به ويعتز به على

موسى ويدلس به على قومه: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي

مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

فأجرى الله ﷻ الماء من فوقه ومن تحته ومن أمامه ومن خلفه ليعلم من هو

إله موسى الذي يكذب به ويحده، نسأل الله العفو والعافية، وأن يرزقنا

لذة العبادة والطاعة والعبودية له سبحانه.

## المبحث الرابع

### الإهلاك بطوفان السيل (سيل قوم سبا)

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبا: ١٥ - ١٧].

سبأ: اسم قوم كانوا يسكنون اليمن، كانوا يسكنون في أرض مخصبة، وقد ارتقوا في سلم الحضارة حتى أقاموا سداً عظيماً به عيون تفتح وتغلق يوزعون عن طريقها الماء على بساتينهم، وخبزوا الماء بكميات عظيمة وراء السد، وتحكموا فيها وفق حاجاتهم، فكان لهم من هذا مورد مائي عظيم.

وكانت الجنان تحيط بهم عن اليمين والشمال رمز لذلك الخصب والوفرة والرخاء والمتاع الجميل، وقد أمرُوا أن يستمتعوا برزق الله، وأن يشكروه على نعمة البلدة الطيبة وهذا النعيم والعيش الرغيد، وعلى مغفرته لهم على تقصيرهم، وذلك إذا شكروا الله: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ﴾.

ولكنهم مع هذا كله أعرضوا عن شكر الله وعن العمل الصالح،

والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم، فسلبهم سبب هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه، فأرسل الله عليهم السيل الجارف الشديد، فحطم السد، وساعد على تحطيم السد فأرّ جعل يخرب في السد، إلى أن جاء السيل فلم يستطع السد منعه!! فانساحت المياه وغطت وأغرقت الجنتين، فذهب مأوهم وهلكت جناتهم، وأصبحت البلدة الطيبة بعد كفرهم بالله بلدة غير آمنة من السيول وغير صالحة للعيش، لأن الله بدلهم بالجنتين: ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىٰ أَكْلِ خَمَطٍ وَّأَثْلِ وَّشَتَّىٰ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾. "تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والتمر القليل"<sup>(١)</sup>.

ثم يعقب الله على قصة قوم سبأ بقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾ أي: أن هذا التبديل وهذا السيل بسبب أنهم بدلوا نعمة الله كفرًا<sup>(٢)</sup>، فعندما أعرضوا وكفروا بدل الله حالهم إلى أسوأ حال، وكذا جزاء كل كافر معرض عن الله تعالى قال تعالى: ﴿وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾.

(١) تفسير القرآن العظيم: (٦ / ٤٩٦).

(٢) انظر: قصة قوم سبأ في كتب التفسير عند تفسير آيات القصة المذكورة في سورة سبأ، والبداية

والنهاية: (٢ / ١٤٧).

## المبحث الخامس

### الإنذار بالطوفان (طوفان قوم فرعون)

قال تعالى عن قوم فرعون: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٣) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَ آيَاتٍ مُفْصَلَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿ [الأعراف: ١٣٢ - ١٣٣].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "لما جاء موسى بالآيات كان أول الآيات الطوفان، فأرسل الله عليهم السماء" (١).

وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك: "أن الطوفان في هذه الآية المطر الشديد أصابهم وتوالى عليهم حتى هدم بيوتهم وضيق عليهم" (٢).

وهذا الطوفان قد أصاب قوم فرعون عذاباً لهم من الله، لأنهم ساموا بني إسرائيل أشد العذاب، ولم يؤمنوا بالله تعالى، وتجبروا وطمعوا في الأرض، فأرسل الله عليهم أنواعاً من العذاب لعلهم يتوبون ويرجعون، ومن ذلك العذاب الطوفان.

يقول السدي: "ولم يصب بني إسرائيل قطرة من ماء بل دخل بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، ودام عليهم سبعة أيام، وقيل أربعين يوماً، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا فنؤمن بك، فكشف الله عنهم

(١) تفسير الطبري: (١٠ / ٣٧٩).

(٢) المحرر الوجيز: (٦ / ٤٧).

الطوفان، ولكنهم لم يؤمنوا، فأنزل الله عليهم نوعاً آخر من العذاب"<sup>(١)</sup>.  
فهذه هي عاقبة الإعراض عن الله وعن دين الله، وأذية المؤمنين والذين  
يأمرون بالقسط من الناس، هذا هو عقابهم من الله تعالى، وعقاب كل من  
نهج مسلكهم وعمل بعملهم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٧/٢٦٨).





## الفصل الثاني

### التهديد بالإغراق

- المبحث الأول: صور التهديد بالإغراق عامة.
- المبحث الثاني: وصف حال الناس في موج البحر.
- المبحث الثالث: وصف موج البحر وظلمته وضربه مثلاً.



## المبحث الأول

### صور التهديد بالإغراق عامة

قد هدد الله تعالى وتوعد بالإغراق لكل من لم يلتزم أمره كما فعل مع فرعون وقومه وأغرقهم في البحر وكما أغرق قبلهم قوم نوح بالطوفان فقال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا جَنَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿الإسراء: ٦٦ - ٦٩﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ أَنَّا جَمَعْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَاءُ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ ﴿يس: ٤١ - ٤٣﴾. وفيها من الوعيد الشديد ما يربح كل ذي لب حازم حكيم، فقد توعد مالك الملك الذي لا يعجزه شيء أن يُجَوَّلَ ما هو نعمة منه - تيسيراً على خلقه - إلى أداة إهلاك وعذاب لا ينجيهم منه أحد البتة، مهما كان حوله وطوله وظنه بنفسه، وغروره بما أوتي من حول أو قوة.

نسأل الله العفو والعافية، فلولا رحمة الله وإنظاره لعباده لعلهم يتوبوا ويرجعوا لوقع بهم العذاب الغليظ المباشر، قال تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا

## المبحث الثاني

### وصف حال الناس في موج البحر

وصف الله حال الناس وهم في البحر عامة، والمشركون به خاصة فقال

تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبَقَتْهُمُ الْمَوَاجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

والله هنا يذكر عن الناس عامة والمشركون خاصة أنهم عندما يكونون في الشدة، وهم في البحر والأمواج عالية، فهم يخافون من تلك الأمواج أن تغرقهم، فليس لهم من ينجيهم من هذه الأمواج إلا من خلق البحر وخلق الرياح التي تأتي بالأمواج وخلقهم وجاء بهم بين هذه الأمواج، فهم يدعون الله تعالى مخلصين له الدين علما منهم أنه هو الذي سينجيهم منها.

ولكن بعد أن ينجيهم الله تعالى ينقسمون إلى فريقين:

• فريق معترف له بالمنة والفضل مخلص له العبادة يظل شاكراً داعياً

الله. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ

مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِّتَسْتَأْذِنُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ

وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا

لَمُنْقَلِبُونَ ﴿﴾ [الزخرف: ١٢-١٤].

• والفريق الآخر ييحد بآيات الله وينعمه، فهو صنف غدارٌ كفورٌ

بنعمة الله تعالى، فهم آمنوا بالله وحده وقت الشدة والحاجة، وكفروا به في

وقت الرخاء إتباعاً للشيطان والهوى وشهوة النفس، قال تعالى عن

المشركين به في ذلك الموقف خاصة: ﴿ فَأِدَارِكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعْوَا اللَّهِ

مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَىٰ الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقد بين الله لعباده الطريق السوي، والمهلكات والصوارف عن ذلك

الطريق، وحذّر عباده، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَن لَّا

تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠﴾ وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ

﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الْهَمْدَ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿﴾ [الجنانية: ٢٣].

فمع علمهم أن الله هو المستحق للعبادة وأن أصنامهم وأندادهم من دون الله لا تنفعهم شيئاً، إلا أنهم أبوا إلا موافقة أهوائهم وترك ما دلتهم عليه الحقائق والشواهد المتلوة والمشاهدة، فياسبحان الله!

وكما مرّ بنا في الحديث عن قوم نوح أن الموج كان كالجبال، قال تعالى:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢]، من عظم الموج كان كأنه جبل ينقض على كل شيء فيهدمه ويبتلعه، لأنه أصبح كالظلل: السحب المحيطة بالإنسان ولا يدري مفراً ولا مخرجاً منها.

### المبحث الثالث

#### وصف موج البحر وظلمته وضربه مثلاً

شبه الله تعالى لعباده شدة ظلمة الكفر بظلمة البحر كثير الأمواج، ولأنهم يعرفونها جيداً ويتصورونها جعلها الله مثلاً لظلمة الكفر إنذاراً لهم وتحذيراً من الوقوع فيه، وبياناً لأهمية التأمل والتفكر في آيات الله الكونية المحيطة بالإنسان في كل آن، قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ كَيْدَهُ أَتَرَ يَكْدِرِنَهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

"يبين الله سبحانه وتعالى شدة الظلمة التي يقع فيها الكفار حين انحرفوا عن نور الله تعالى، والوصف هنا وصف عظيم لشدة الظلمة فقد ذكر الله سبحانه أنها: ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ متعددة، وجمع المؤنث السالم يدل على الكثرة، وأن هذه الظلمات: ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ أي: في بحر عميق كثير الماء" (١)، "ثم هذا البحر العميق ليس ساكناً في هذه الظلمة ولكنه: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ﴾ أي: أن الموج مع كثرته وشدته كأنه فوق بعض من علوه، ولم تقف الظلمة والشدّة عند هذا الحد، ففي هذه

(١) روح المعاني: (١٨٢/١٨).

الحال يأتي السحاب يحجب النجوم والقمر ويكون فوق ذلك الموج: ﴿مَنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ وهذه غاية في شدة تراكم الموج فوق بعض حتى أنه كاد يصل إلى السحاب<sup>(١)</sup>.

ثم يصف الحالة التي يكون عليها من يكون في تلك الظلمة للتأكيد على شدة الظلمة أيضاً: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْفُؤَهُ لَمْ يَكَدْ يَرِنُّهَا﴾ فلا يري من في داخل تلك الظلمة أقرب الأشياء إليه، يده التي هي جزء منه لا يكاد يراها. وكذلك الكفار تراكت على قلوبهم الظلمات، قال: أبي بن كعب ؓ: "الكافر يتقلب في خمس من الظلمات: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات في النار وبئس المصير"<sup>(٢)</sup>.

ثم يعقب الله تعالى على هذه الصورة الشديدة وهذا المثل الشديد الظلمة بقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ أي: من لم يهده الله تعالى فلا هادي له، كما قرر ذلك في آيات كثيرة، ومنها: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

(١) روح المعاني: (١٨٣/١٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٩٨/١٧)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: (٧١/٦)، والسيوطي في الدر المنثور: (٦٣/١١)، وابن أبي حاتم: (٢٥٩٣/٨)، والحاكم في المستدرک: (٤٣٤/٢) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٢٨٥/١٢).



"إنه مثال رائع لحياة وأعمال أولئك الذين سلخوا أنفسهم عن الشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى، فهم يعيشون في حيرة وقلق واضطراب، وظلمة تغلف عقولهم ونفوسهم، تتقاذفهم أمواج شهواتهم المضطربة في نفوسهم، وإن هذا المثال ليبين شدة افتقار الإنسان إلى هداية الله تعالى وأحكام شريعته"<sup>(١)</sup>.

فليتصور الإنسان نفسه وهو واقع بين تلك الأمواج وتلك الظلمة الشديدة، ماذا سيكون حاله إن لم يكن له من ينجيه من هذه الأمواج وهذه الظلمات. إن المؤمن يعلم أن هذه الأمواج وهذه الظلمة بيده سبحانه يتصرف فيها، فيهرع إلى الله بالدعاء أن ينجيه منها، وأمر الله نافذ لا محالة قال تعالى:

﴿وَسِجِّىَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[الزمر: ٦١].

والصورة الممثل بها هنا - من ظلمات البحر وشدة تراكم الأمواج - صورة حقيقية تدل على وصف ثابت لتلك الأمواج وأثرها في غياهب البحار والمحيطات، وتدلل أيضاً على تعدد الموج وانفصال بعضها عن بعض في طبقات منفصلة وإن لم تكن كذلك في رأي العين المجردة.

فتلك الأمواج آية من آيات الله العظيمة يخوف الله بها عباده، ويحذرهم بها من الوقوع في مخالفة دينه وشرعة، ولو شاء لسلطها على من شاء من خلقه فدمرتهم تدميراً مع أنها من الماء السهل اللين.

اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك اللهم رحمتك أوسع من أعمالنا.

(١) من موضوعات القرآن: (سورة النور: ٧٤).



## **الفصل الثالث**

### **أسباب الطوفان الشرعية وعواقبها**



## أسباب الطوفان الشرعية وعواقبها

إن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يدلان على أن هذه الكوارث وغيرها من التغيرات الكونية إنما تصيب العباد بسبب ذنوبهم، وكونها تقع لأسباب معروفة لا يخرجها عن كونها مقدره من الله سبحانه على العباد لذنوبهم فالله خالق السبب والمسببات.

### فمن أسباب الطوفان الشرعية:

١- الفسق عن طاعة الله:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ

عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (في هذه الأمة خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ) فقال رجلٌ من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: (إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمُعَازِفُ وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ)<sup>(١)</sup>. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يكون في آخر الزمان خسف ومسوخ وقذف، قالت قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث)<sup>(٢)</sup>.

(١) سنن الترمذي: كتاب الفتن، باب: ما جاء في علامات حلول المخ والخسف (٢٢١٢). سنن ابن ماجة: كتاب الفتن، باب: الخسوف (٤٠٦٠). سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤/٢٩٣ ح ١٧٨٧).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الفتن، باب: ما جاء في الخسف (٢١٨٥). سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٩٨٧).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المثونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أممتهم بكتاب الله ويتخبروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)<sup>(١)</sup>.

٢- الظلم:

قال تعالى في نهاية هلاك قوم نوح: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْأَمَاءِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ [نوح: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سَاءَ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفرقان: ٣٧].

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب: العقوبات (٤٠١٩). وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث

الصحيحة: (١٠٦)، وصحيح سنن أبي داود: (٣٢٤٦).

وقال تعالى عن الأمم الماضية: ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

فكما يؤكد هذا المعنى كما رأينا النظر في خواتيم الآيات التي ختم الله بها كل قصة من قصص الأمم الهالكة، ففي خواتيمها التهديد والوعيد، والتخويف لكل من عمِلَ عمل تلك الأقسام، ورأسها الظلم والتكذيب والمكر.

### ٣- الكفر بالله تعالى وآياته:

قال تعالى في هلاك قوم فرعون: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٦ - ٦٧]. وقال تعالى في هلاك قوم سبا: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴾ [سبا: ١٧].

### ٤- الغفلة والإعراض عن آيات الله وشرعة:

قال تعالى: ﴿ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

### ٥- المعصية والإسراف فيها:

قال تعالى لفرعون عند إهلاكه: ﴿ يَا لَيْتَنِي وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ

النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعْفُلُونَ ﴿ [يونس: ٩١ - ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ  
لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣].  
٦- منع حق الله أو حقوق الخلق:

قال تعالى عن أصحاب الجنة عندما منعوا الزكاة وقالوا: ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا  
الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾ قال عنهم: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴾ ثم عقب  
بقوله: ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَىٰ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ "أي: هذا عذاب من  
خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنعم عليه ومنع حق المساكين والفقراء،  
وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفرًا، ولن يقف العذاب عند عذاب الدنيا  
فقط بل هناك عذاب في الآخرة أشد وأشق" (١).

### والخلاصة في ذلك:

أن الإنسان ممتحن من ربه لتمييز الصادق في إيمانه وعبوديته من  
الكاذب كما قال تعالى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا  
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ  
الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

فالله يحذر عباده ويخوفهم بأسه وشدته، لأنه يغار إذا انتهكت محارمه،  
وأعظم محارمه وأكبرها الشرك والعياذ بالله، ثم كل ما يؤدي إليه من

(١) تفسير ابن كثير: (٨/ ١٩٥-١٩٧) باختصار.



المعاصي والذنوب، أو ينقص كمال التوحيد والعبودية لله ﷻ، ويضعف الإيمان به، ولذا حذر عباده فقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَاكِيلًا ﴾ (٦٨) أمر أمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿ [الإسراء: ٦٨ - ٦٩].

وعلى هذا فإن كل ما يحدث في الوجود من الفيضانات والطوفان والزلازل وغيرها مما يضر العباد ويسبب لهم أنواعاً من الأذى، كل ذلك بأسباب: الشرك والظلم والتكذيب والمعاصي، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣]. وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

لقد عمّ قوم نوح الغرق، وأهلكت عاداً الريح العقيم، وأخذت ثموداً الصيحة، وقلبت على اللوطية ديارهم، فجعل الله عليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل، يقول الله تعالى بعد ذكرهم: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

تلكم الذنوب، وتلكم عواقبها وما هي من الظالمين بعيد. ما ظهرت المعاصي في ديار إلا أهلكتها، ولا فشت في أمة إلا أدلتها، ولا تخلخلت في دولة إلا أسقطتها. إنه ليس بين أحد وبين الله نسب.

وقد هدد الله تعالى وتوعد بالإغراق لكل من لم يلتزم أمره كما فعل مع فرعون وقومه وأغرقهم في البحر وكما أغرق أيضاً قوم نوح بالطوفان فقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لُؤْمٍ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ

مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ ﴿٤١﴾ [يس: ٤١ - ٤٣] وفيها من الوعيد الشديد ما يرعب كل ذي لب حازم حكيم فقد توعد مالك الملك الذي لا يعجزه شيء أن يحول ما هو نعمة منه تيسيراً على خلقه إلى أداة إهلاك وعذاب لا ينجيهم منه أحد البتة مهما كان حوله وطوله، وظنه بنفسه، وغروره بما أوتي من حول أو قوة.

نسأل الله العفو والعافية، فلولا رحمة الله وانظاره لعباده لعلهم يتوبوا ويرجعوا لوقع بهم العذاب الغليظ المباشر قال تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا

إِلَى حِينٍ ﴿٤٤﴾ [يس: ٤٤].

## الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

بعد هذا العرض لبعض قصص القرآن في إهلاك الأقسام السابقة

بالطوفان وإنذارهم به، قد تبين لنا من خلال ذلك العرض ما يلي:

١- أن العزة والقوة والجبروت لله وحده دون سواه، ما كان للعباد من

قهر وعزة فإنما هي أثر من آثار عزة الله وحده، فإن فهموا ذلك واعتبروا

نجوا، وإن اغتروا به وزعموه لأنفسهم هلكوا لا محالة، فإن فرعون اغتر

بقوله: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ

الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١] فأهلكه الله بالماء،

وقوم سبأ تنعموا بالماء وبه سادوا وعزوا، فلما كفروا وطمعوا أهلكوا به.

٢- ضعف الإنسان وجهله بربه سبحانه ولذا يطغى عندما يستغنى قال

تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ ﴿١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْفَىٰ﴾ [العلق: ٦- ٧]، ولكن علاجه

من ذلك الداء ﴿إِن إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ﴾ [العلق: ٨] فمن يؤمن بالآخرة حق الإيمان

لا يمكن أن يطغى بل يحاول استثمار ما يُطغى الكافر والجاحد في رضى ربه.

٣- إعجاز القرآن في أسلوبه وتنويع الله لخطاب عباده وتحذيره لهم من

عقابه، فمرة يذكر لهم وصف الطوفان الذي حصل لقوم نوح، ومرة أخرى

يذكر لهم وصفهم عندما تموج بهم البحار والمحيطات، ومرة أخرى يذكر

لهم نتيجة ذلك الطوفان الذي حل بالأمم من حولهم مما يشاهدون آثاره ويعرفون أخباره، ومرة يذكر لهم في معرض التهديد والتخويف والاعتبار ما أهلك به الأمم قبلهم.

٤ - أقام الله الحجة على عباده بأن ذكر لهم أنواعاً متعددة من الطوفان: فمن طوفان الماء وهو الأغلب ذكر طوفان قوم نوح، ومن الغرق ذكر غرق فرعون وقومه، وهو طوفان طاف بهم بلا شك ولكن هم الذين سعوا إليه بإقدامهم عليه، ومن كفران النعم طوفان سيل العرم لقوم سبأ، ومن التحايل على أمر الله وشرعه طوفان أهل الجنة، وفي معرض تقريب الصورة للأذهان خاطبهم بما يحصل لهم في البحر حال هيجان البحر واضطراب أمواجه - نسأل الله العفو والعافية - فلم يترك ربنا سبحانه لمشتبه حجة.

٥ - أن الطوفان يعني كل ما طاف بالشيء وأحاط به من جميع جوانبه، وإن كان المفهوم المتبادر إلى الذهن والاستعمال عادة طوفان الماء لأنه الأسهل في التصور الذهني، وأن عذاب الله إذا حل بقوم فلا محيد عنه ولا مفر فإنه يطوف بهم من جميع الجهات والجوانب، نسأل الله العفو والعافية.

٦ - أن ذلك المعنى للطواف يدل على كمال نعيم أهل الجنة حيث أن خدمتهم شاملة وكاملة لكل الجوانب لا كدر فيها ولا نقص.

٧ - أن الشيطان أشد ما يكون على إضلال بني آدم وصددهم عن الله ودينه، فلا يزال يطوف بهم ليجد الثغرة التي يضلهم من جهتها، ولذا فإن

العبد أشد ما يكون حاجة وفقراً إلى ربه مهما بلغ من العبادة والطاعة فلا يأمن مكر الشيطان ووسوسته حتى يتوفاه الله على صراطه المستقيم، نسأل الله الثبات.

٨- بلاغة القرآن وكماله في معانية حيث يدلنا ربنا بالألفاظ القليلة على المعاني الواسعة الشاملة لصالح الدنيا والدين، والمستوعبة لحاجة الناس؛ بالأمس واليوم وغداً وحتى قيام الساعة، على مختلف أجناسهم وحضاراتهم، لذا علينا أن نمعن النظر ونتأمل في آيات الله بحسب ما يشرحها من آية وسنة وأقوال لسلف هذه الأمة؛ كلما طرقتنا الغرائب والمسائل. والله المستعان وعليه التكلان.

٩- في المواضع التي أشار الله فيها إلى ما جرى لأولئك الأقوام من العذاب، لا نجد في النصوص ما يشير إلى التهمك أو التندر بالعذاب أو تعييرهم بذلك والتشميت بهم، بل كلها اتفقت على الجانب الإيجابي بذكر أسباب العذاب، وقربه ممن خالف أمر الله، وإنذار الخلق اللاحقين عن أن يصيبهم ما أصابهم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

هذا وإن الجهد البشري لا يخلوا من عيب ونقص، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وإن عجائب هذا الكتاب لا تنقطع، ولا يمل منها معتبر ومتأمل ولا سيما إذا قارن ذلك إمامه بأسباب أخرى كمعرفة الأسباب والآثار والنظائر المتعلقة بالنص أو بالنصوص المتعلقة بمعناه.

وأوصي نفسي وإخواني بأن لا يملوا قراءة كتاب الله والتمعن فيه وأن لا نهجره، أو نعرض عنه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على بينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الباحث/ د. محمد بن عبدالعزيز العواجي

تم تبييضه في ١٧/٧/١٤٢٥ هـ

طيبة الطيبة

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- البداية والنهاية - ابن كثير - مكتبة المعارف - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ٣. ١٤٠٧هـ.
- الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتاب العربي.
- القاموس المحيط - الفيروزآبادي - مؤسسة الرسالة - ط ٢. ١٠٧.
- المحرر الوجيز في الكتاب العزيز - عبد الحق بن عطية الأندلسي - مؤسسة دار العلوم - الدوحة - ط ١. (١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م).
- المستدرک علی الصحیحین - أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري - مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١. (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- المعجم الأوسط - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ٢. (١٣٩٢هـ).
- النكت والعيوت تفسير الماوردي - علي بن محمد بن حبيب الماوردي - تحقيق: السيد بن عبد المقصود - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١. (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - تحقيق سامي بن محمد السلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط ١. (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- تفسير القرآن العظيم - عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم - تحقيق: أسعد محمد الطيب - مكتبة الباز - مكة المكرمة - ط ١. (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- تفسير غريب القرآن - عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق: السيد أحمد صقر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط. (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
- تفسير غريب القرآن العظيم - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - تحقيق: د/ حسين أمالي - مديرية النشر والطباعة والتجارة - أنقرة - ط. (١٩٩٧م).
- تيسير الكريم الرحمن - للإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله ط. مؤسسة الرسالة، عناية د. عبدالرحمن اللويحق ١٤٢٠هـ.
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن - للإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله ط. وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض. الأولى ١٤٢٢هـ.
- جامع البيان عن تفسير آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - تحقيق د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي - مركز البحوث والدراسات الإسلامية - القاهرة - ط ١. (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).



- جامع الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- حاشية السندي على النسائي - نور الدين بن عبدالمهدي أبو الحسن السندي - تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ط ٢. (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - محمود الألوسي البغدادي - دار الفكر - بيروت (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ط. (٢٠٠١م).
- سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد بن ماجه القزويني - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض (١٤١٩هـ - ١٩٨٩م). اعتناء أبو صهيب الكرمي.

- صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة  
زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط  
الأولى. (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري - بيت الأفكار  
الدولية للنشر والتوزيع - الرياض (١٤١٩هـ - ١٩٨٩م). اعتناء أبو  
صهيب الكرمي.
- معاني القرآن - يحيى بن زياد الفراء - تحقيق: أحمد يوسف نجاتي.
- معاني القرآن الكريم - النحاس - جامعة أم القرى - مكة المكرمة -  
الطبعة الأولى، (١٤٠٩) تحقيق: محمد علي الصابوني.
- معاني القرآن وإعرابه - الزجاج - عالم الكتب - بيروت - ط ١.  
١٤٠٨هـ.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني - دار الفكر -  
بيروت.
- من موضوعات سور القرآن - عبد الحميد محمود طهماز - دار القلم  
دمشق - الدار الشامية بيروت - ط ١. (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر - ابن الجوزي -  
الرسالة - بيروت - ط ٢. (١٤٠٥هـ).

# المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٦	سبب اختيار الموضوع
٨	منهجية البحث
٩	خطة البحث
١١	تمهيد
١٢	معاني الطوفان في القرآن
١٥	<b>الفصل الأول</b>
١٧	الإهلاك بطوفان الماء - طوفان قوم نوح
٢٢	الإهلاك بطوفان النار - طوفان أصحاب الجنة
٢٥	الإهلاك بطوفان الغرق - غرق قوم فرعون
٢٨	الإهلاك بطوفان السيل - سيل قوم سبأ
٣٠	الإنذار بالطوفان - طوفان قوم فرعون
٣٣	<b>الفصل الثاني</b>
٣٥	صور التهديد بالإغراق عامة
٣٦	وصف حال الناس في موج البحر
٣٩	وصف موج البحر وظلمته وضرهه مثلاً
٤٣	<b>الفصل الثالث</b>
٤٥	أسباب الطوفان الشرعية وعواقبها
٥١	الخاتمة
٥٥	المصادر والمراجع
٥٩	المحتمل

## بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ .. فضيلة العالم .. الداعية .. طالب العلم.  
أختي القارئة .. الداعية .. طالبة العلم.  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بوافر الود والاحترام حيث أن دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع  
بفروعها .. مكة المكرمة .. المدينة المنورة .. الرياض ومطابعتها .. وقسم  
الترجمة... وإدارة المعارض هي منكم... وأنتم منها، وهي أحد روافد العلم  
والدعوة إلى الله.

فإننا نستقبل مقترحاتكم .. وأفكاركم الدعوية ونصائحكم  
الغالية .. ونتشرف أن نتواصل معكم من خلال ردودكم الفاضلة  
مقدمين بعض إهدائنا لكم شكراً وتقديراً على تواصلكم معنا  
في النصيحة والدعوة إلى الله ونستقبل مقترحاتكم  
باسم/ مدير التطوير بدار طيبة الخضراء كالتالي:

✓ الخطابات على العنوان: ص.ب ٦٩٥٨ مكة المكرمة.

✓ والفاكس ٠٢٥٥٨٩٠٢٧ تحويلة ١٠٢

✓ ورسائل جوال على ٠٥٠٤٥١٢٤٤٧

شاكرين لكم ومقدرين حثكم الدعوي المتميز وتواصلكم على  
البر والتقوى.

دار طيبة الخضراء